

دلائل الإعجاز

حسنةً في موضعٍ وضعيفةً مستكرهةً في موضع . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول
عمر بن أبي ربيعة المخزومي : .

(ومن مالدٍ عيذيه من شيءٍ غيره ... إذا راح يخو الجمة مرة البيض كالدسمى) .

وإلى قول أبي حنيفة - الطويل - : .

(إذا ما تقاضي المرء يومً وليلةً ... تقاضاهُ شيءٌ لا يملُّ التَقاضيًا) .

فإنك تعرفُ حُسْنَهَا ومكانَهَا من القبول . ثم انظر إليها في بيت المُنبي -
الطويل - : .

(لو الفلك الدوّ وَّارٍ أبغضت سعيه ... لَعوّقهُ شيءٌ عن الدوّ وَّانٍ) .

فإنك تراها تقلُّ وتَضُؤُّ بحسبِ نُبلها وحسبها فيما تقدّم .

وهذا بابٌ واسعٌ فإنك تجدُ متى شئت الرّجلين قد استعملا كلّما بأعيانها . ثم

ترى هذا قد فرع السّماك وترى ذاك قد لصق بالحامض . فلو كانت الكلمة إذا

حسنتٌ حسنتٌ من حيث هي لفظٌ وإذا استحققت المزيّة والشرفَ واستحققت ذلك في
ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حالٌ لها مع أخواتها المجاورة لها
في النظم لما اختلف بها الحالٌ ولكانت إما أن تحسن أبداً أو لا تحسن أبداً . ولم

تَرَ قولاً يضطربُ على قائله حتّى لا يدري كيف يُعبّرُ وكيف يُرؤدُ ويصدرُ كهذا

القول . بل إن أردت الحقّ فإنّه من جنس الشّيء يُجري به الرجلُ لسانه ويطلقه
فإذا فتش نفسه وجدّها تعلمُ بطلانه .